الصلة بين المعتزلة والشيعة

اشترك الطرفان الشيعة والمعتزلة في الحكم العقلي للنص فلا بد من تحرير العقل من النقل عند الطرفين، ولا ينسوا أن العقل كان أولاً ثم بعده جاء النص وعكس الحملة ليس صحيحاً أبداً، بعض الشيعة يضعون النص المقدس الوحيد هو القرآن الكريم.

والمعتزلة يرون أن لا قدسية لشيء مخلوق، فإن عارض النقل العقل لجأوا إلى التأويل، حتى القرآن يؤلون نصوصه بما يطابق عقولهم.

واستمدوا أقوالهم من الآية الكريمة ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ الملك 10.

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت 43.

وقال أيضاً: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ النور 61.

يجب فرز التراث وما طابق العقل قبلناه وما خالف العقل من التراث الإنساني من تفسير وفقه وتاريخ وسيرة وأحاديث ضعيفة أو موضوعة نبذناه.

فالعقل هو مجموعة أنظمة معرفية معقدة متشابكة مع بعضها لمعرفة قوانين الحياة والعقل ليس مصدراً وإنما المصدر للشرع الإلهي الدائم المقدس للإنسان هو كتاب الله عز وجل.

إن الأقلام المحدثة تثير موضوعاً حول قاعدة (لا اجتهاد في مورد النص) وهذه القاعدة فيها غموض فهل النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة كالنص ظني الثبوت ظني الدلالة... ويعتبرونها وسيلة لاغتيال العقل.

واتخذ هؤلاء فهم الصحابة وآل البيت فهماً تاريخياً للإسلام لا يسحب على غيره من المجتمعات.

في نفي مصدر السنة اعتمد على حديث قال رسول الله ﷺ (أطيعوني ما دمت معكم فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه) مسند الإمام وصححه الألباني. (الأحاديث الصحيحة رقم 1472).

المعتزلة مختلفون في مدى تقديرهم لمواهب العقل.

فالنظام (يرى أن الإنسان العاقل يتوصل إلى معرفة الخالق).

قبل ورود الشرع ينظر العقل (أصول الدين ص 256 والملل والنحل ج1/ 65 ـ 66).

العلاف يذهب أبعد من النظام في تقديره قوة العقل إذ قال: إن معرفة الله تعالى ومعرفة الدليل الداعي إلى معرفته تتم بضرورة العقل. (الحواس أو القياس كلها سببية).

أما ثمامة فقد كان أكثر من العلاف نفسه تطرفاً لأنه اعتبر المعارف كلها ضرورية.

جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب قالا: من قصر في المعرفة يستحق العقوبة أبداً.

والعقل يميز بين الحسن والقبيح قبل ورود الشرع ما عدا العبادات فهذه سبيل إدراكها السمع لا العقل.

ولتحقيق العدالة بحكم العقل نفوا القدر فكانوا دعاة الحرية والإرادة في الإسلام. وأدى بهم ذلك إلى مفاسد كثيرة حتى إن عمرو بن عبيد بن باب أدى به إلى رد للأحاديث النبوية وتحامله على بعض الصحابة كعلي وعثمان وطلحة والزبير.

ولذلك نظر النظام إلى الأحكام الشرعية فأبطل خبر الواحد لأنه لا يوجب العلم الضروري.

وأنكر الإجماع واتهمه البغدادي بأنه قصد إبطال أحكام فروع الشريعة بإبطال طرقها ويختلفون بالإمامة مع الشيعة.

ويقول عن قتل عثمان رضي الله عنه: إما أن يكون يستحق ذلك وعندها فقد زالت عدالته ووجب فسقه، وإما أن يكون غير مستحق لذلك وعندها فقد فسق الصحابة لتركهم الدفاع عنه.

لقد ناقض المعتزلة مبادئ قدموها وهي حرية الاعتقاد فقامت فتنة في قتل كل من خالفهم وعذبوا وسجنوا كل مخالفيهم.

لقد اجتمعت كلمة أهل السنة والشيعة ضد المعتزلة.

وكفر المعتزلة بعضهم بعضاً؛ أبو هذيل العلاف كفر النظام في كتابه الرد على النظام.

الإسكافي كُفِّر في أمور كثيرة وجعفر بن حرب (توبيخ أبي الهذيل) كفر فيه أستاذه ابن الراوندي والمعتزلة. وترك الاعتزال وناصر الشيعة.

وله كتاب (الإمامة) وفضيحة المعتزلة لابن الراوندي.

1) المستصفى للغزالي ج 1 ص 56. 2 الفرق بين الفرق ص 129.

إن سبب ضعفهم انشقاقهم وعدم توحيد صفوفهم.

ثم جاء الأشعري وناظرهم وقطع أدلتهم.

إن المعتزلة ذهبوا بعيداً في تقدير العقل والاعتماد عليه حتى أهملوا النقل وتركوا الحديث وتحاملوا على المحدثين وكذبوهم وأولوا المتشابه من آي القرآن الكريم تأويلاً لم يقرهم أهل السنة عليه.

الأشعري كما يقول الغزالي (لا نرى معاندة بين الشرع المنقول وبين الحق المعقول) الاقتصاد في الاعتقاد ص 2.

وفي ظل البويهيين تآخى المعتزلة والشيعة وارتمى المعتزلة في أحضان الشيعة فاجتمع الشيعة والمعتزلة ضد السنة واستفادوا من خبرتهم وجهودهم.

الشيعة لم يكن لهم مذهب كلامي فاقتبسوا عن المعتزلة أصول الكلام وأساليبه حتى أن ابن بابويه القمي أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري اتبع في كتابه العلل طريقة المعتزلة الذين يبحثون عن علل كل شيء.

ولذلك قال آدم متز: إن الشيعة من حيث العقيدة والمذهب ورثة المعتزلة (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ص 102).

والمقدسي نظر في كتب الفاطميين الشيعة في شمال أفريقية.

فوجد أنهم يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول (أحسن التقاسيم ص 238).

فوافق الشيعة المعتزلة بإنكار إجماع المسلمين حجة، وقولهم الحجة في قول الإمام المعصوم وقلة اعتداد المعتزلة عموماً بالأخبار المأثورة.

الإسكافي كان يتشيع لعلي رضي الله عنه.

ويقول الذهبي: إن الشيعة والاعتزال تصادقا من حدود سنة 37هـ وتراضيا.

الصاحب بن عباد اتخذ الاعتزال عن أبيه وكان غالياً فيه داعياً له ونصر المعتزلة عندما صار قاضي القضاة.

لقد اجترأ المعتزلة على لعن الأشعرية والشافعية وأهل السنة جميعاً، في عهد عميد الملك وزير طغرلبك.

ثم انتهى دورهم بصدور أوامر نظام الملك الوزير الجديد ولكن في خوارزم نشر الأصبهاني محمود بن جرير المذهب وكان من تلاميذه الزمخشري ومن ثم تبنى فكرة المعتزلة عبد الجبار الخوارزمي.

الرافضة الشيعة اعتنقوا مذهبهم وساروا على أصولهم.

والزيدية في اليمن يوافقون المعتزلة في أصولهم كلها إلا في مسألة الإمامة.

قال المقبلي (إن الزيدية في هذا الجيل من اليمن معتزلة في كل الموارد إلا في شيء من مسائل الإمامة.

إن كلام المقبلي: إن الزيدية يعظمون المعتزلة كثيراً ويضعونهم في مصاف الأئمة وخاصة أبو علي الجبائي وولده أبو هاشم. / العلم الشامخ ص 108.

قال جمال الدين القاسمي: استمر الشيعة على الاعتزال إلى يومنا هذا، إن المعتزلة اليوم كفرقة أهل السنة والجماعة من أعظم الفرق رجالاً وأكثرها تابعاً لأن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة كذلك شيعة الهند وفارس والشام والزيدية في اليمن/ تاريخ الجهمية والمعتزلة ص 42.

المعتزلة الجديدة مدرسة فكرية شكلها المستر أحمد خان سيد أمير علي.

يرى رجال هذه المدرسة أن الإسلام الصحيح دين العقل.

لا سيما أمير عليكاره وآغاخان أمير الإسماعيلية.

نقل الذهبي في ميزانه لسبعة وعشرين معتزلياً ممن روى عنهم الشيخان.

النظام يرى أن حجة العقل تنسخ الأخبار.

الأشعرية ترى أن النقل هو الأساس وأن العقل خادم للنقل ووسيلة لإثباته والبرهان على صحته.

يقول الغزالي (المعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن كالمتعرض لنور الشمس مغمضاً للأجفان) الاقتصاد في الاعتقاد.

ابن المرتضى في كتابه المنية والأمل خلط في الطبقات للمعتزلة بين المعتزلة والشيعة لأن المؤلف شيعي.

نقاط الاتفاق والخلاف بين المعتزلة والشيعة:

الإمامة

صفات الله عز وجل الذي ذكرها الأشعري في مقالات الإسلاميين

في وصف الله وبيّن فيها الخلاف بين المعتزلة والشيعة

الشيعة: مرتكب الكبيرة نسميه كافر نعمة فاسقاً

المعتزلة تعتبره منزلة بين المنزلتين

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اختلفوا فيه

حديث (ليس لعين ترى الله يعصى أن تطرف حتى تغير أو تنتقل) قال به المعتزلة.

الشيعة قالوا: لا يقوم به إلا الأئمة

عند المعتزلة واجب بوجود إمام أو لم يوجد

في شرح الأصول الخمسة قال: هي من فروض الكفايات

لبعض المعتزلة تغييرها فرض عين.

المعتزلة والشيعة قالوا بأن الاستطاعة التي يكون بها الفعل هي قبل الفعل بوجوده في الإنسان

القدرية: أخذها غيلان الدمشقي من الحسن بن محمد بن الحنفية

إذن الشيعة والمعتزلة مذهب واحد في نفي خلق الله للأفعال

أخذ فكرة القدر من سوس وكان من نصارى العراق ثم أسلم

نسب المستشرقون أن يوحنا الدمشقي حسب قول سيل أن
اصطلاحات العدل وحرية الفعل كلها من آثار المسيحية
ونفى الدكتور عبد الرحمن بدوي أي تأثير للمسيحيين
لأنهم لم يكونوا يتكلمون بحرية الرأي
اشترك الزيدية والمعتزلة في صفات الله
إن الله عالم قادر حي بنفسه لا بعلم وقدرة وحياة
الشيعة قالوا: عالم بعلم محدث
الشيعة اختلفوا مع المعتزلة فرقتين في خلق القرآن أو قديم
قال هشام بن الحكم وأصحابه: يزعمون أن القرآن لا خالق ولا مخلوق وبعضهم قال غير مخلوق لأنه صفة والصفة لا توجب
الفرقة الثانية: أنه مخلوق محدث
الشيعة: إن الله قادر أن يُقدر عباده على فعل الأجسام والألوان والطعوم والأراييح وسائر الأفعال
المعتزلة محال أن يقدر الله عباده عليها إلا الحركات
لا جبر ولا تفويض بل أمرين أمرين/ لعلي رضي الله تعالى عنه
الإنسان يملك إرادة الفعل وإرادة الترك كما يبرهن على ذلك الواقع الموضوعي لكل حركاته وممارسته وفعاليته. ص 314 التشيع
الشيعة لا يؤمنون بالإجماع كمصدر من مصادر الشريعة
اشتركوا بعدم الرؤية لله في الدنيا ولا في الآخرة
اشتركوا بعدم الأخذ بالحديث إلا المروي عن المعصوم وأما المعتزلة فيؤولون الحديث الصحيح وبعضهم يرفض الأحاديث كلها.
والمعتزلة لم يأخذوا بأخبار الآحاد.